دروس من هدي القرآن الكريم

يوم القدس العالمي

ملزمة الأسبوع | اليوم الخامس

ألقاها السيد / حسين بدرالدين الحوثي

بتاريخ ١٤٢٢/٩/٢٨هـ | اليمن ـ صعدة

ثم يقول سبحانه وتعالى فيما يتعلق بواقعهم في ميدان المواجهة أنهم ضعاف {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (آل عمران: ١١١) {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (آل عمران: من الآية ١٢٠).

هذا أيضاً مما يثير الاستغراب طائفة ضعيفة في ميدان المواجهة، طائفة ضربت عليها الذلة والمسكنة، وباءت بغضب من الله استطاعت أن تقهر هذه الأمة، أن تقهر العرب أولئك الذين لم يكونوا يسمحون لأنفسهم أن يقهروا أمام بعضهم بعض وهم ما زالوا قبائل أعراباً في نفوسهم الإباء، نفوس كبيرة فيها الإباء، فيها النجدة، فيها الشجاعة، يموت من أجل كلمة واحدة، يُقتل ولا يبالي، أقوياء في ميدان القتال.

العرب معروفون بقوتهم في ميدان القتال يبرز فيهم أبطال كثيرون جداً ولكنهم قُهروا أمام من حكى الله عنهم أنهم ضعاف، أنهم لو اتجهوا لقتالنا لما صمدوا لضعفوا، لتفرقوا.

{لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ} (الحشر:١٤) هذه عن اليهود تحكي أيضاً في [سورة الحشر] فلماذا وصل الأمر إلى هذا الحال؟ ثم لماذا تبقى هذه الحالة قائمة منذ خمسين سنة؟ منذ خمسين سنة ونحن إلى الآن لا نرى توجهاً عملياً إلى إخراج الأمة من هذه الحالة

السيئة: أن يصبحوا أذلاء أمام الذين قد ضربت عليهم الذلة، وأن يصبحوا جبناء مستسلمين أمام من هم جبناء في ميدان القتال، فبماذا وصل اليهود إلى هذا الشيء؟ وكيف عملوا حتى أوصلونا إلى هذه الحالة؟ وعن طريق من؟

كما قلنا سابقاً ـ أيها الإخوة ـ أنه بعد أن يذكر الله سبحانه وتعالى عن اليهود هذه الأشياء، ويذكر منها قضيتين ـ ويجب أن تكون محط اهتمامنا ـ أنه قال بالنسبة لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} (الإسراء: من الآية ٧٣)، {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ} (النساء: من الآية ١١٣) فهل يمكن ـ وقد كررت هذا السؤال أكثر من مرة ـ أن يذكر الله كل هذا عن بني إسرائيل عن اليهود ثم لا يكون قد وضع في كتابه الكريم، لا يكون قد هدانا في كتابه الكريم إلى ما يجعل الأمة بمستوى المواجهة لهذه الطائفة، وإحباط كل كيدها ومؤامراتها؟ وإلى ما يجعلها صاغرة ذليلةً تحت وطأة وأقدام هذه الأمة؟ لا بد، لا بد.

ولو رجع المسلمون إلى القرآن الكريم لعرفوا أن لله سبحانه وتعالى قد هداهم إلى هذا الشيء ولكنهم أعرضوا عنه فأصبحت هذه الحالة سائدة، وأصبحوا يعانون من هزيمةٍ نفسية ثابتة مستقرة لا يرون منها مفراً ولا مخرجاً.

فما هي المشكلة؟ نحن الآن أمام هزيمة، تحدثنا أن العرب والمسلمين أمام هزيمة حقيقية بالنسبة لليهود

مَن حكى اللّه عنهم هذه الأشياء. فما هي مشكلة العرب والمسلمين؟ مشكلة العرب، مشكلة المسلمين أنهم لم يثقوا باللّه، لم يثقوا باللّه؛ ولهذا لم يرجعوا إلى كتابه، لم نثق باللّه فلم نرجع إلى كتابه، ولم نثق برسوله (صلوات اللّه وسلامه عليه)، لم يثقوا باللّه، ولم يثقوا برسوله، ولم يعرفوا اللّه المعرفة الكافية، المعرفة المطلوبة، ولم يعرفوا رسوله (صلوات اللّه عليه وعلى آله) المعرفة الكافية، المعرفة المطلوبة. فظلوا دائماً يدورون في حلقةٍ مفرغة، وظلوا دائماً يتلقون الضربة تلو الضربة، مستسلمين، مستذلين، مستكينين.

ماذا يعني أنهم لم يثقوا باللّه؟ المفسرون السابقون، وقضية إسرائيل، وقضية ما وصلت إليه الأمة ليست نتاج هذا العصر فقط، نتاج زلات وأخطاء قديمة جداً جداً جاءت من بعد الرسول (صلوات اللّه عليه وعلى آله) بدؤها من يوم السقيفة، بدؤها من يوم السقيفة، لم يثقوا باللّه لم يثقوا برسوله، لم يعرفوا كتاب اللّه المعرفة المطلوبة حتى عندما يأتي القرآن الكريم ليقول: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (الأنعام: من الآية ٣٨) يقول المفسرون: أي من الأشياء التي تناولها؛ لأنهم يستبعدون أن يكون هذا القرآن قد هدى الأمة إلى كل شيء في هذه الحياة، وهداها إلى كيف تكون بمستوى المواجهة لأي خصم من خصومها.

جعلوا هذا القرآن عبارة عن كتاب يُتلى ويُردد، يتناول القضايا العبادية الأخلاقية في صورة

محدودة، ويحكي قصص الماضين لمجرد العبرة التي يفهمونها بفهمٍ قاصر، أو يُعرضون عنها.

الرسول (صلوات اللّه عليه وعلى آله) جردوه من شخصيته، لم يعطوه المكانة اللائقة به حتى في أيام حياته (صلوات اللّه عليه وعلى آله)، وعرض لنا القرآن الكريم صورة من تلك الصور التي تدل على أن كثيراً ممن كانوا في حياة النبي (صلوات اللّه عليه وعلى آله)، لم يعرفوا ذلك الرجل العظيم من هو؟ من هو؟ فيجلّوه ويقدسوه ويعزروه ويوقروه ـ كما قال اللّه سبحانه وتعالى ـ وينصروه.

عندما كان يخطب ألم يخرجوا من عنده؟ {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً} (الجمعة: من الآية ١١) حكى اللّه عنهم هذه في المدينة، في آخر أيام النبوة في المدينة! هل حدثت في مكة؟ لا. حدثت في المدينة {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً} لم يعرفوا الرسول (صلوات اللّه عليه وعلى آله) وهناك حديث ولا أستبعد صحة معناه يقول الرسول: (صلوات اللّه عليه وعلى آله): ((يا علي لا يعرف اللّه إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا اللّه وأنت، ولا يعرفك إلا اللّه وأنا)) لم يعرف المسلمون الرسول (صلوات اللّه عليه وعلى آله) من ذلك اليوم إلى الآن المعرفة والفهم الصحيح الذي ينبغي أن يكونوا عليه.

لم يفهموه حتى كقائد عسكري محنك وقدير وحكيم، لم يفهموه بهذا الشكل، جردوه من شخصيته وحولوه إلى مجموعة كتب ملئت بالكذب عليه: [فرسول اللّه

يعني: سنته، سنته تعني: المجاميع الحديثية المعينة التي جمعها فلان، وفلان، وفلان، وفلان هذا هو النبي!] تعال إلى النبي تراه هنا يقول النبي: [حدثوا عن اليهود ولا حرج!].

أليس هذا مما يجعل الأمة في وضعية مختلفة عما يريد الله لها في هذا القرآن الكريم أن تكون عليه في مواجهة اليهود؟ [حدثوا عن اليهود ولا حرج!] فكانوا يحدثون عن اليهود فملئوا كتب التفسير [بالإسرائيليات] بالقصص الغربية، ملئوا كتب الحديث بالأحاديث الدخيلة التي صنعها يهود تمظهروا بالإسلام، واندسوا في أوساط المسلمين، ثم أصبحت هي من معتقدات المسلمين، ثم أصبحت هي تصنع رؤية المسلمين وتوجههم؛ لأنهم لم يرتبطوا بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) شخصياً، ولم يدرسوا حياته، ويتفهموا حياته كإنسانٍ حكيم وقدير وإنسانٍ كامل.

لو يرجع المسلمون في مواجهتهم للغرب ولليهود إلى [غزوة تبوك] وحدها في السيرة، وإلى [سورة التوبة] التي توجهت نحو هذه الغزوة لكانت وحدها كافية لأن يأخذ المسلمون منها دروساً كافية في معرفة مواجهة اليهود، ودول الغرب بكلها.

لكنهم متى ما تحدثوا عن غزوة تبوك منشغلين بأن عثمان أعطى مبلغاً كبيراً لتمويل هذه الغزوة! هذا هو المهم عندما يعرضوه في المناهج الدراسية، وعندما يتحدث أحد من الكتاب في السيرة أهم شيء أن يتحدث عما أعطاه عثمان من تمويل لهذه الغزوة

الذي هو معرضٌ للشك وعدم الواقعية في أنه أعطى فعلاً.

لم يستوحوا من موقف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذه الغزوة المهمة، التي أعطتها سورة التوبة أهمية كبرى، مع أنها في علم الله لن تحصل مواجهة، يستنفر كل المسلمين في هذه الغزوة حتى المنافقين حتى المنافقين يُستنفروا للخروج في هذه الغزوة مع علم الله بأنها لن تكون مواجهات. فيها دروس مهمة جداً، ولكن كل من يتعرض لسيرة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من أهل السنة ـ وهم القطاع الأكبر في هذه الأمة ـ يكون همه ما عمله عثمان من تمويل لهذه الغزوة! وما عمله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أو دراسة حقيقية لهذه لا يهتمون بها.

حتى في هجرة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من مكة إلى المدينة يتحدثون في كتب السيرة عن [صلحه مع اليهود] يتحدثون عن صلح وقع منه مع اليهود! وعندما ترجع أنت لتقرأ الوثيقة التي صاغها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بعد أن وصل المدينة المنورة بسرعةٍ صاغها، وذكر فيها كل بطون سكان المدينة، كل بيوتات القبائل الساكنة في المدينة وحولها، وثيقة ليست بصدد الصلح مع اليهود، ولا حول الصلح مع اليهود.

اليهود كانوا حول المدينة حلفاء لبيوت أو أشخاص من الأوس والخزرج داخل المدينة، حلفاء لهم مرتبطين بمعاهدات معهم كأتباع لهم. الرسول (صلوات الله

عليه وعلى آله) عندما اتجه من مكة إلى المدينة مهاجراً، اتجه ليبني قاعدةً ينطلق منها للجهاد، وإعلان دولته، وإعلان دعوته؛ لينطلق منها للجهاد ضد كل المعارضين لدعوته التي بعث بها، فعمل على أن يجعل المدينة قاعدةً مستقرة.

اقرءوا هذه الوثيقة لن تجدوا فيها مصالحة مع اليهود، إنما باعتبارهم حلفاء لمن داخل المدينة من أوس أو خزرج أو أشخاص من كبارهم يسري على اليهود ما يسري على حلفائهم. وهذا شيء طبيعي في المواثيق وفي المعاهدات العربية أنه يسري على الأولياء ـ الذين يسمونهم وَلِي آل فلان أو حليف آل فلان ـ يسري عليهم ما يسري على من هو في حلفه، أو في ولائه، أو في معاهدةٍ معه.

فيأتي كتاب السيرة ويعنونونه بـ [الصلح مع اليهود] ثم عندما اتجه [السادات] إلى القدس ليستسلم أمام إسرائيل ينطلق علماء مصر ليقولوا بأن الرسول (صلوات اللّه عليه وعلى آله) قد صالح اليهود أول ما وصل المدينة صالح اليهود، فنحن إنما نصالحهم كما صالحهم رسول اللّه (صلوات اللّه عليه وعلى آله) مع الفارق الكبير من كل الوجوه فيما بين ما وقع عندما وصل الرسول (صلوات اللّه عليه وعلى آله) إلى المدينة وبين ما وقع من السادات عندما اتجه إلى القدس.

لم يثقوا بالقرآن الكريم فيما يهدي إليه بصورة عامة؛ ولذا عندما تأتي أنت لتقرأ بعض كتب التفسير من مفسري أهل السنة كالطبري وغيره في قول اللّه

تعالى عن موسى: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} (المائدة: من الآية ٢١) هؤلاء المفسرون يعطون اليهود وثيقة بأيديهم، الأرض المقدسة التي كتب الله لهم قالوا: هي أرض الشام! هي أرض الشام! هذه العقلية سواءً لمفسر أو محدث بعيدة عما هدى إليه القرآن.

القرآن الكريم يؤكد، ويشير، ويدلل على أن الخصومة والمواجهة الحقيقية فيما بين المسلمين على امتداد التاريخ ستكون مع أهل الكتاب، ستكون مع أهل الكتاب، وفعلاً في التاريخ كان العداء فيما بين هذه الأمة وأعداء آخرين كان مع أهل الكتاب. المشركون الكافرون لم تقم لهم قائمة، أو ظهر كفرٌ من صنع أهل الكتاب، ظهر كفر من صنع أهل الكتاب.

فالقرآن الكريم في [سورة آل عمران] وفي [سورة المائدة] وفي [سورة البقرة] يشير إلى أن المواجهة الحقيقية مع هذه الأمة ستكون مع اليهود، ومع أهل الكتاب جميعاً من اليهود والنصارى.

وعندما أشار هذه الإشارة نرى الحكمة العجيبة، نرى الحكمة العجيبة من قِبَل القرآن، ومن قِبَل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف أنه قد تكفل بهداية الأمة إلى ما يجعلها ـ كما كررت أكثر من مرة ـ في مستوى المواجهة مع أهل الكتاب، الذين سيكونون هم الخصوم الحقيقيون والأعداء الألداء لهذه الأمة على طول تاريخها.

ومع من الآن نصارع؟ ومن الذي قهرنا؟ من؟ أليسوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى؟ أليست هي أمريكا

وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا وغيرها؟ هؤلاء منهم؟ يهود ونصارى، هم أعداؤنا الحقيقيون، وهم الذين أصبح واقعهم يشهد بأن هذا القرآن، بأن هذا القرآن حكيم من عند الله سبحانه وتعالى أنزله من قال عنه: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الفرقان: من الآية ٦) نزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

ما أعظم هذه الآية ما أعظم هذه الآية لو أن هناك ثقة بالله، كيف من يعلم السر في السماوات والأرض، يعلم الغيب في السماوات والأرض لا يعلم مستقبل هذه الأمة؟ لا يعلم ما سيحصل لهذه الأمة، لا يعلم كيف يهدي هذه الأمة؟

لقد فعل كل شيء لكن هذه الأمة ـ كما قلنا سابقاً ـ هي التي ابتعدت عن القرآن، ابتعدت عن قرناء القرآن، ابتعدت عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ثم انطلقت في الميدان مجردةً من سلاحها الحقيقي، من هديها، من هداتها، من قادتها. ثم انطلقت لتصارع فهُزمت وأُذلت، وأصبحت أمةً تحت أقدام اليهود والنصارى.

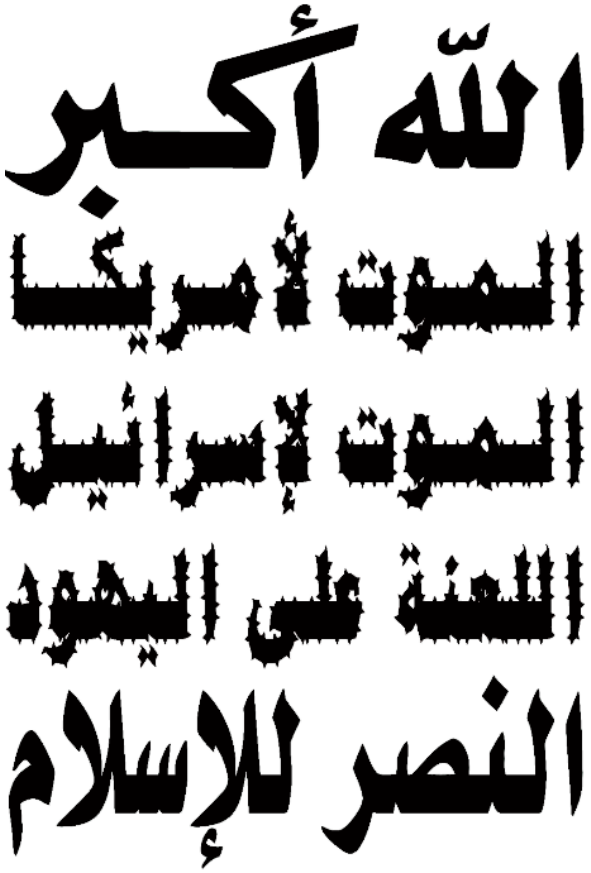

للحصول على المقاطع النصية والصوتية للدرس اليومي من ملزمة الأسبوع اشترك في قناة [**كونوا أنصار الله**] على تيليجرام بالنقر على الرابط:

- t.me/KonoAnsarAllah